(٢٧٢)

خبره مع فاتك

كان أبو شجاع فاتك الكبير[١] (المعروف بالمجنون) روميًّا ، أُخِذَ صغيرًا ، وأخٌ وأختٌ له[٢] من بلاد الرّوم ، قُرْبَ حصْنٍ يعرف بذى الكلاع ، فتعلّم الخط بفلسطين[٣] ، وهو ممّن أخذه ابن طغْج من سيّده وهو بالرّملة كرهًا بلا ثمن[٤] ، فأعتقه صاحبه ، فكان معهم حرًّا فى عدّة المماليك ، كريم النّفس حرّ الطبع ، بعيد الهمّة .

وكان فى أيّام كافور مقيمًا بالفيّوم (من أعمال مصر) وهو بلد كثير الأمراض ، لا يصحّ به جسم ، وإنما أقام به أنفةً من الأسْود وحياءً من النّاس أن يركب معه ، وكان الأسْودُ يخافه ، ويُكْرِمه ، فزِعًا ، وفى نفسه ما فى نفسه[٥] فاستحكمت العلّة فى بَدَن فاتك ، وأحوجَتْه إلى دخول مصر فدخلها ، ولم يمكّن أبا الطيب أن يعوده ، وفاتك يسأل عنه ويراسله بالسّلام ، ثم التقيا فى الصحراء ، فحمل إلى منزله للوقت هدية قيمتها ألف دينار ذهبًا ، ثم أتبعها هدايا بعْدَها[٦] .

فقال أبو الطيب يمدحه فى جمادى الآخر[٧] . سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة[٨] .

---

(١) ع : « كان أبو شجاع هذا فاتكا الكبير » .

(٢) مقدمة الديوان « لهما » .

(٣) ق : « بفلسين » تحريف .

(٤) كان الإخشيد قد ولى الرملة سنة ٣١٦ من جهة المقتدر وأقام بها إلى سنة ٣١٨ .

(٥) ق : « ما فى نفسه » ساقطة .

(٦) انظر فى هذا الخبر : حوادث سنة ٣٥٠ ابن الأثير ٦ /٣٦١

(٧) مقدمة الديوان : « لسبع خلون من جمادى الآخرة » .

(٨) الواحدى ٧٠٤ : « وقال يمدح أبا شجاع فاتكًا الملقب بالمجنون سنة ٣٤٨ » . التبيان ٣ /٢٧٦ : « وقال يمدح أبا شجاع فاتكا سنة ثمان وأربعين وثلاث مئة » . الديوان ٥٠١ ٥٠٢ مثل المقدمة المذكورة . العرف الطيب ٥٢٥ .

١- لاَ خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلاَ مَالُ[١] فَلْيُسْعِدِ النُّطْقَ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ

يقول لنفسه : ليس عندك خيل ولا غيرها من الأموال تهديها إلى فاتك ، مكافأة على إحسانه ، فأنتَ[٢] قادر على مدحه ، فساعده بالقول الجميل ، إن لم يساعدك الحال على الأجر الجزيل . وهذا كقول الحطيئة[٣] .

إِلاَّ يَكُنْ مَالٌ يُثَابُ فَإِنَّهُ سَيَأْتِي ثَنَائِي زَيْدًا بْنَ مُهَلْهَلِ[٤]

ومثله للمهلَّبى[٥] :

إن يُعْجِزِ الدَّهْرُ كَفِّى عَنْ جَزَائِكُمُ فَإِنَّنِي بِالْهَوَى وَالشُّكْرِ مُجْتَهِدُ[٦]

٢- وَأَجْزِ الأَمِيرَ الَّذِي نُعْمَاهُ فَاجِئَةٌ
بِغَيْرِ قَوْلٍ ، وَنُعْمَى النَّاسِ[٧] أَقْوَالُ

« فاجِئة » : اسم فاعل من الفجاءة .

يقول : كافئ الأمير الذى يفاجئ بإنعامه من غير وعْد ، وغيره يقول ولا يفعَل : يعرّض بكافور [٣٣٣ - ا] .

٣- فَرُبَّمَا جَزَتِ الإِحْسَانَ مُولِيَهُ خَرِيدَةٌ مِنْ عَذَارَى الْحَيِّ مِكْسَالُ

(١) هذا من الابتداء الذى يكره السامع سماعه بأن يقول : « لا خيل عندك تهديها ولا مال » ، وهو أول ما يقوله للممدوح .

(٢) ق ، شو : « فإنك قادر » .

(٣) هو : جرول بن مالك كان راوية زهير ، فنجم مقبول الكلام ، شرود القافية ، خبيث اللسان ، حتى أنه هجا أباه وأمه وامرأته ونفسه ! خاص الخاص ١٠٣ .

(٤) ديوانه ٨٤ ولباب الآداب ٢٢١ والواحدى ٧٠٤ والتبيان ٣ /٢٧٧ .

(٥) هو : يزيد بن محمد بن المهلَّب بن المغيرة ، أبو خالد ، المعروف بالمهلبى ، شاعر من أهل البصرة ، اتصل بالمتوكل العباسى ونادمه ومدحه ورثاه بقصيدة من عيون الشعر ، أو ردها المبرد فى الكامل وتوفى سنة ٢٥٩ . الموشح ٣٤٣ وسمط اللآلئ ٨٣٩ ورغبة الآمل جـ ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ويتيمة الدهر ٢ /١٥٦ و ٣ /٥ .

(٦) الوساطة ٣٣٧ والواحدى ٧٠٤ والتبيان ٣ /٢٧٧ وفيه : « فإننى بالثنا والشكر » وشرح البرقوق ٣ /٤٩٠ .

(٧) ق ، « ونعمى القوم » .

الخريدة : الجارية النّاعمة ، وقيل الكثيرة الحياء . والمكسال من النساء : الفاترة[١] القليلة التصرّف .

يقول : إذا كانت النساء مع ضعفهن ، وعادتهنّ كفران النعم ، ربّما جازيْن مَنْ أحسن إليهنّ ، فأنتَ أقدر على شكر من أحسن إليك .

وخصّ من النساء الخريدة المكسال ؛ لضعفها وفتورها .

٤- وَإِنْ تَكُنْ مُحْكَمَاتُ الشُّكْلِ تَمْنَعُنِي ظُهُورَ جَرْيٍ فَلِي فِيهِنَّ تَصْهَالُ

« الشُّكْل » : جمع الشِّكال[٢] .

يقول : إن كان ضيق حالى يمنعنى من مكافأتك فعلا ، فإنّى أكافئك قولاً يظهر ما فى نفسى[٣] ، كصهيل الجواد يظهر ما فى نفسه من الشوق إلى الجرْى . شبّه نفسه بالجواد المشكول ، إذا لم يقدر على الجرْى صَهَل شوقًا إليه .

وقيل : معناه إذا لم أقدر[٤] على المكاشفة بنصرتك على كافور ، فإنى أمدحك ، وإنى فى ذلك كالجواد المشكول [عن] الجرى فإنه يصهل شوقًا إليه .

٥- وَمَا شَكَرْتُ لأَنَّ الْمَالَ فَرَّحَنِي سِيَّانِ عِنْدِيَ إِكْثَارٌ وَإِقْلَالُ

الإكْثار : كثرة المال . والإقْلال : قلّته ، وأراد الغنى والفقر .

يقول : لم أشكر ؛ لفرحى بالمال الذى أسدَيته إلىّ[٥] ، وسواء عندى الغنَى والفقر[٦] .

٦- لَكِنْ رَأَيْتُ قَبِيحًا أَنْ يُجَادَ لَنَا وَأَنَّنَا بِقَضَاءِ الْحَقِّ بُخَّالُ

---

(١) ق : « الفارة » تحريف .

(٢) الشكال : القيد . يقال شكلت الدابة أى قيدتها . اللسان . ع : « الشكالى » .

(٣) ذكر صاحب التبيان هذا القول عن المعرى ونسبه إليه وزاد : « وكان فاتك هذا الممدوح ينطوى على بغض كافور ومعاداته . وكان أبو الطيب يحبه ويميل إليه ولا يمكنه إظهار ذلك خوفًا من الأسود » .

(٤) ق : « إذا قدر » . (٥) ق : « استديته » . ع : « أسدى » .

(٦) ق : « الفقر والغنى » . والإكثار : الغنى . والإقلال : الفقر .

« بُخَّال » : جمع باخِل .

يقول : إنما شكرت لك لأنى رأيت بخْلى بقضاء الحق مع جودك علىّ قبيحًا .

قال ابن جنّى : لما وصلت فى القراءة إلى هذا المَوْضع ، قال المتنبى : هذا رجل حمل إلىّ ألفَ دينار[1] فى وقت واحد .

قال : وما رأيته أشكر لأحدٍ منه لفاتك[2] ، وكان يترحم عليه كثيرًا .

٧ – فَكُنْتُ مُنْبِتَ رَوْضِ الْحَزْنِ بَاكَرَهُ
غَيْثٌ بِغَيْرِ سِبَاخِ الأَرْضِ هَطَّالُ

يقول : نمت صنيعته عندى ، وزادت كالأرض الطيبة إذا صابها المطر الكثير ولم يذهب باطلا ، كالمطر فى الأرض السبخة[3] .

٨ – غَيْثٌ يُبَيِّنُ لِلنُّظَّارِ مَوْقِعُهُ أَنَّ الْغُيُوثَ بِمَا تَأْتِيهِ جُهَّالُ

« موقعُه » : فاعل يُبيِّن ، ويجوز فيه النّصب ، فيكون فاعله ضمير الغيث .

يقول : إن فاتكًا غيثٌ يولى بإنعامه مَنْ هو أهله ، فإذا نظر الناس علموا أن الغيوث جاهلة بما تفعله : من سقى المكان السَّبِخ والطّيب . فموقع نعمه يبيّن هذا المعنى .

٩ – لايُدْرِكُ الْمَجْدَ إلاسَيِّدٌ فَطِنٌ لِمَا يَشُقُّ عَلَى السَّادَاتِ فَعَّالُ

يقول : لا يصل إلى المجد إلا كل فَطِنٍ يراعى أحوال القضاء ، ويتحمل المشاق التى تشقّ على سائر السادات .

---

(١) ع : « حمل نفسه على قيمة ألف دينار » .

(٢) ع : « من فاتك » .

(٣) ع : « السخنة » تحريف .

١٠-لَا وَارِثٌ جَهِلَتْ يُمْنَاهُ مَاوَهَبَتْ[١]
وَلَاكَسُوبٌ بِغَيْرِ السَّيْفِ سَآلُ

[٣٣٣ - ب] يقول : لم يرث هذا المال الذى وهبه من آبائه فيجهل قدرَه ، حيث لم يلْحقه عناء بجمعه ، بل كسبه بسيْفه وقهر عليه أعداءه ، ولم يَجمعه بالسّؤال ، حتى لا يعرف خطره .

و « لا » فى قوله : « لاوراث » بمعنى غير : أى غير وارث . وقيل : إنّها عاطفة كقولك : « جاءنى زيدٌ لا عمْرو » : أى لا يدرك المجد إلا سيد فطن لا وراث جاهلٌ بقدر ما يهب .

١١-قَالَ الزَّمَانُ لَهُ قَوْلاً فَأَفْهَمَهُ إِنَّ الزَّمَانَ عَلَى الإِمْسَاكِ عَذَّالُ

يعنى : أن الزمان أيقظه بتصاريفه ، حتى كأنه عذله على الإمساك ، وأمره بأن يهب كيما يكسب المجد والشرف ، فكأنه قال هذا القول[٢] :

١٢-تَدْرِى الْقَنَاةُ إِذَا اهْتَزَّتْ بِرَاحَتِهِ أَنَّ الشَّقِيَّ بِهَا خَيْلٌ وَأَبْطَالُ

يقول : إذا تحركت القناة فى يده ، علمتْ أنه يقتل بها الأبطالَ ، والخيلَ .
وهذه الأبيات من تمام قوله : « لا يُدْرِكُ الْمَجْد إلا سَيِّد فَطِنٌ » .

١٣-كَفَاتِكٍ . وَدُخُولُ الْكَافِ مَنْقَصَةٌ
كَالشَّمْسِ قُلْتُ ، ومَالِلشَّمْسِ أَمْثَالُ

يعنى . لا يبلغُ المجدَ إلا سيِّد كفاتك ، ثم استدرك وقال :«ودخول الكاف[٣]

(١) ق ، شو : « ماكسبت » .
(٢) لأنه لم يكن ثَم قول ولكنه اتعظ واعتبر بتصاريف الزمان .
(٣) قال الواحدى : لم يعرف ابن جنى وجه دخول الكاف فى «كفاتك » فقال : الكاف ها هنا زائدة ، وإنما معناه وتقديره « فاتك » أى هذا الممدوح فاتك ، هذا كلامه وجميع البيت مبنى على هذه الكاف فكيف يمكن أن يقال انها زائدة . انتهى الواحدى ٧٠٦ .

منقصة » أى إذا قلت : كفاتك جعلت له نظيرًا ، ولا نظير له ، ثم اعتذر فقال : إنما قلت : كفاتك مع علمى أنّه لا نظير له ، كما أشبّه الأشياء بالشّمس ، وأعلم أنه لا مثْل لها ، ولم يوجب ذلك نقْصا فيها كذلك هذا. ومثْله لآخر :

لَقَدْ جلَّ فى أَوْصَافِهِ وَخِطَابِهِ عَنِ الْكَافِ إلا أَنْ يُقَالَ كَرِيمُ

١٤- الْقَائِدُ الأُسْدَ غَذَّتْهَا بَرَائِنُهُ بِمِثْلِهَا مِنْ عِدَاهُ وَهْىَ أَشْبَالُ

يقول : هو يقود غلمانًا ربّاهم بأسلاب أعدائه ، حتّى صاروا كالأسُود . وقوله : « بمثْلِها » أى غذَّتْهم برائنُه : أى سيوفه[1] ، بأسلاب أسودٍ أمثالهم من أعدائِهم ، وهذه الأسُود أشباله .

جعله أسدًا ، وغلمانَه حوله كالأشبال .

١٥- الْقَاتِلُ السَّيْفَ فى جِسْمِ الْقَتِيلِ بِهِ وَلِلسُّيُوفِ كَمَا لِلنَّاسِ آجَالُ[2]

يقول : يضرب الفارسَ بسيفه فيقتله ، وبكسر السّيفَ فى جسمه[3] . وقوله : « وللسّيوفِ كَمَا للنَّاسِ آجالُ » أخذه من قوله ﷺ : « لا تضْرِبوا إماءَكم بكَسْر إنائِكمْ ، فإنّ لَها آجالاً كآجالِكُم »[4] والمصراع الأوّل مثل قوله :

قَتَلْتَ نُفُوسَ الْعِدَى بِالحَدِيـ ـدِ حتّى قتلْتَ بِهنّ الَحِديدا[5]

= وهذه الكاف هى التى يقال لها : كاف الاستقصاء ذكرها أهل العربية انظر العرف الطيب ٥٣٧ .

(١) أى سيوفه كالبراثن ، والبراثن من السباع والطير بمنزلة الأصابع من الإنسان والمخلب : ظفر البراثن . التبيان ٣ /٢٨٠ .

(٢) ق : « أحبال » تحريف .

(٣) ق : « فى حكمه » .

(٤) ورد الحديث فى الجامع الصغير ٣٣٧ بهذه الرواية : « لا تضربوا إماءكم على كسر إنائكم فإن لها آجالا كآجال الناس » رواه عن أبى نعيم فى الحلية وضعف آخره .

(٥) ديوان أبى الطيب ١٢٤ والتبيان ١ /٣٧٠ ورواية النسخ : « قتلت نفوس العدا بالسيوف » .

١٦-تُغيرُ عَنْهُ عَلَى الْغَارَاتِ هَيبَتُهُ
وَمَا لَهُ بِأَقَاصِى الأَرْضِ[١] أَهْمَالُ

الأهْمَال : جمع الهُمَّل والهُمَّال[٢] ، والهُمَّل : جمع الهامل ، وهو المال المُهْمَل فى المرْعى بلا راعٍ[٣] .

يقول : [٣٣٤ - ا] إن هيبته تُغِير عن الممدوح غارات اللّصوص : أى تُبعدهم عن التعرّض لمالِه ، فماله يرعى فى المرْعى مهمل[٤] بلا راعٍ ، فلا يتعرض إليه أحد من الهيبة[٥] .

١٧-لَهُ مِنَ الْوَحْشِ مَا اخْتَارَتْ أَسِنَّتُهُ :
عَيْرٌ وَهَيْقٌ وَخَنْسَاءٌ وَذَيَّالُ

[العير : حمار الوحش والهيق : ذكر النعام][٦] والأنثى هيقة ، والخنساء : البقرة الوحشيّة . والذيّال : الثور الوحشى .

يقول : إنه يقدر على اصطياد كلّ ما يختاره .

١٨-تُمْسِى الضُّيُوفُ مُشَهَّاةً بِعَقْوَتِهِ كَأَنَّ أَوْقَاتَهَا فى الطِّيبِ آصَالُ

« عقوته » سهْله وما قرب منه[٧] . والمشهّاة : من قولهم : شهّيته : أى جعلته

(١) فى الديوان والتبيان : « بأقاصى البر » .
(٢) ع : « والهمال » ساقطة ، ق : « الهمل والهمل والهمل » .
(٣) هملت الإبل هملا : سرحت بغير راع ، فالبعير هامل ويجمع على : همل ، وهمى ، وهمّال والناقة هاملة جمعها هوامل . وأهمل إبله : تركها بلا راع ولا يكون ذلك فى الغنم . اللسان .
(٤) ع : « همّل » .
(٥) ع : « فلا يتعرض إليه أحد له لهيبته » .
(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من التبيان .
(٧) ع : عقوته : محله وماكان قريبا منه . التبيان العقوة : ما حول الدار . والسهل : الأرض المنبسطة لا تبلغ الهضبة .

يشتهى ، أو أنلته ما يشتهى[١] . والآصال : جمع أُصُل ، وأُصًا . جمع أصيل ، وهو بَعْد العصْر ؛ وذلك الوقت يطيب خاصّة فى الصّيف[٢] .

يقول : إنه يكرّم أضيافَه ، ويمكّنهم من كل ما يشتهونه ، فأوقاتهم كلّها عنده طيّبة كالآصال .

١٩-لَوِ اشْتَهَتْ لَحْمَ قَارِيهَا لَبَادَرَهَا خَرَاذِلٌ مِنْه فِى الشِّيزَى وَأَوْصَالُ

القارِى : المضِيف ، وهو الممدوح ، ولحمٌ خراذل بالذّال والدال : مقطّع[٣] والواحد خَرْذلة . والشِّيزَى : جِفانٌ سود يُقَال إنها من الشِّيز[٤] .

قال الأصمعى : الشِّيز لا يعمل منه الجفان ، وإنما تعمل من الجَوز[٥] فتسودّ من الدَّسم فتشبه الشِّيز ، والهاء فى « قارِيها » و « بادرها » للأضياف ، وفى « منه » للّحم ويجوز أن يكون للممدوح .

يقول : لواشتهت الأضياف لحمَهُ لنحر لهم نفسَه ، وحُمِلت قطعًا[٦] إلى الضّيوف فى الجفان ، وحملت إليهم أوْصالهُ[٧] مقطّعةً .

٢٠-لَا يَعْرِفُ الرُّزْءَ فِى مَالٍ وَلَا وَلَدٍ إِلَّا إِذَا حَفَزَ الضِّيفَانَ تَرْحَالُ

الحفز : التّحريك والإزعاج .

---

(١) ع : « ما يتشهى » .

(٢) إنما يستطاب لشدة الحر قبله ، وأنه وقت هبوب الريح وانقطاع الحر بأفول الشمس .

(٣) ق ، شو : « مقطع » ساقطة .

(٤) الشيز والشيزى : خشب أسود تعمل منه الأمشاط والجفان ونحوها ، وقد يطلق كل منهما على ما صنع منه فيقال للأمشاط والجفان : الشيزى . اللسان .

(٥) المراد بالجون هنا : الجوز الأبيض . والجون يطلق على الأسود والأبيض ، لأنه من أسماء الأضداد وقد يطلق على الأسود تخالطه حمرة وهو خشب الجوز وبه قال التبيان ، انظر التبيان واللسان .

(٦) ع : « قطع لحمه » .

(٧) الأوصال : جمع وصل بضم الواو وهو العضو . الواحدى .

يقول : لا يغْتَمّ لشيء أصابه فى ماله وولده ، وإنما يحزن عندما يتأهّب الضيف للرّحيل[١] .

٢١- يُرْوِى صَدَى الأَرْضِ مِنْ فَضْلاتِ مَا شَرِبُوا
مَحْضُ اللِّقَاحِ ، وَصَافِى اللَّوْنِ سَلْسَالُ

الصّدى : العطش ، وأراد هاهنا يبُس الأرض . والمحض : اللّبن الخالص[٢] . واللِّقاح : جمع لَقْحَة ، وهى الناقة التى تحْلب . والسَّلسال : الشراب الصافى السَّهل المساغ ، وأراد بِهِ الخمر .

يقول : إذا رحل أضيافُه أراق ما يبْقى مِنْ شرابهم من اللّبن والخمر ، ولمْ يدّخره لغيرهم ، لأنه يتلقى كل ضيف بقِرًى جديد .

٢٢- تَقْرِى صَوَارِمُهُ السَّاعَاتِ عَبْطَ دَمٍ
كَأَنَّمَا السَّاعُ نُزَّالٌ وَقُفَّالُ[٣]

العَبْط والعبيط : الدّم الطرىّ واللحم . والسَّاع : جمع ساعة .

يقول : يريق كلّ ساعة دمًا طريًّا من أعدائِه ، ويذبح وينحر للأضياف ، فكأنه يقْرِى السّاعات بما يُريقه من الدماء ، وكأنها قوم ينزلون ، وقوم يقْفلون عنه [٣٣٤ - ب] .

٢٣- تَجْرِى النُّفُوسُ حَوَالَيْهِ مُخَلَّطَةً مِنْهَا عُدَاةٌ وَأَغْنَامٌ وَآبَالُ

النّفوس : الدماء وقد روى ذلك أيضًا .

يقول : إنه يقتل الأعداء وينحر الآبال ويذبح الأغنام ، فتختلط الدماءُ بعضُها ببعض .

---

(١) هذا من الإفراط الذى لا يكون .

(٢) المراد الذى لم يشب بماء .

(٣) ع . ق . شو : « قفال ونزال » .

والتقدير : منها دماء أعداء ومنها دماء أغنام . فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه[١] .

٢٤-لا يَحْرِمُ الْبُعْدُ أَهْلَ الْبُعْدِ نَائِلَهُ
وَغَيْرُ عَاجِزَةٍ عَنْهُ الأُطَيْفَالُ

« الأطيْفال » : تصغير أطفال .

يقول : يصل نواله إلى القريب والبعيد ، والقويّ والضّعيف ، فلا يحرم البعيد نائله لأجل بُعْده ، والصّغير لا يعجز منه لصِغَر سنه .

٢٥-أَمْضَى الْفَرِيقَيْنِ فِي أَقْرَانِهِ ظُبَةً وَالْبِيضُ هَادِيَةٌ وَالسُّمْرُ ضُلاَّلُ

يقول : إذا التقى الجيشان ، وسقطت الرّماح السُّمر ، وآل الأمرُ إلى السّيوف البيض ، فهو أمضى الفريقين سيفا فى ذلك الوقت .

٢٦-يُرِيكَ مَخْبَرُهُ أَضْعَافَ مَنْظَرِهِ بَيْنَ الرِّجَالِ وَفِيهَا الماءُ وَالآلُ

الهاء فى « فيها » للرجال .

يقول : إذا جربتَه فى الحرب رأيت منه أضعاف منظره . وفى الرجال من له حقيقة كالماء ، وفيهم من لاحقيقه له كالسراب[٢] .

٢٧-وَقَدْ يُلَقِّبُهُ الْمَجْنُونَ حَاسِدُهُ إِذَا اخْتَلَطْنَ وَبَعْضُ الْعَقْلِ عُقَّالُ

العقّال : داء يأخذ الدابة فى الرِّجْلين ، فيعْقلها عن التصرّف . ويجوز تخفيفه[٣] . وقوله : « إذا اختلطْن » قيل : أراد به الصّفوف فأضمر ، وقيل : أراد به خيْله وخيل عدوّه .

---

(١) ع : « وأقام المضاف إليه مقامه » مهملة .
(٢) ق ، شو : « كالسراب » مهملة .
(٣) ق ، شو : « تحقيقه » .

كان فاتك يلّقب بالمجنون ، فصرح بذكر لقبه ثم[١] تخلّص منه أحسن تخلّص ، حتى فضّل الجنون على العقل .

فيقول : إنما جنونه عند[٢] اختلاط الصفوف ، والعقْل فى ذلك الوقت عقال على صاحبه ، فجنونه : شجاعة وإقدام[٣] ، لا كما يزعمه الحاسد . فحسَّن لقبه[٤] !

٢٨- يَرْمِى بِهَا الْجَيْشَ لا بُدَّ لَهُ وَلَهَا
مِنْ شَقِّهِ وَلَوَ انَّ الجَيْشَ أَجْبَال

« بها » أى بالخيل . والهاء فى « له » للمدوح .

يقول : يرمى بخيْله جيشَ العدوّ ، فلابُدّ له ولخيْله من شقّ الجيش ، وإن كان كالجبل شدّة وثباتا .

٢٩- إِذَا الْعِدَى نَشِبَتْ فِيهِمْ مَخَالِبُهُ
لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُمُ حِلْمٌ وَرِئبَالُ

« نشبت » : ثبتت . والرئبال : الأسد .

يقول : هو فى يوم الحرب أسَدٌ ، فإذا نشبت مخالب الأسد فى فريسة ، فلم يكن حينئذ حلم ، إذَ الحلم لا يوجد مع الأسد .

وهذا تأكيد لتحسين لقبه ، وتفضيله على العقل .

٣٠- يَرُوعُهُمْ مِنْهُ دَهْرٌ صَرْفُهُ أَبَدًا
مُجَاهِرٌ[٥] وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَغْتَالُ

---

(١) ق ، « فصرع بذكر لقبهم » تحريفات .

(٢) ق : « عند » مهملة .

(٣) ع : « فجنونه : شجاعته وإقدامه » .

(٤) قال ابن جنى : ولم يفضل الجنون على العقل بأحسن من هذا . التبيان .

(٥) ق : « مهاجر » تحريف .

يقول : هو على أعدائِه كالدّهر ، يروعهم أبدًا بحروبه وغاراته مجاهرة ، بخلاف صروف الدهر فإنها تغتالهم ولا تجاهرهم . فضّلة على الدّهر [٣٣٥ - ا] .

٣١- أَنَالَهُ الشَّرَفَ الأَعْلَى تَقَدُّمُهُ فَمَا الَّذِي بِتَوَقِّي مَاأَتَى نَالُوا

« ما » فى قوله : « فما الذى » قيل : للاستفهام على جهة الإنكار ، « الذى » فى موضع نصب « بنالوا » والتوقّى : مصدر توقّى ، وهو مضاف إلى « ما » [الثانية] ومَا[1] فى موضع الجر ، وتقديره : فأى شىء نالوا بتوقيهم ما أتاه هو؟

يقول : أوصله إلى نيْل الشّرف الأعلى جرأتُه ، فما الّذى نال أعداؤه لمّا توقّوا ما أتاه ، وأشفقوا على أنفسهم ؟

وقيل : « ما » الأولى نفى والثانية بمعنى الذى . و« يتوقى » فعل مضارع[2] انتصب به « ما » و« الذى » فى موضع الَّذِين .

والمعنى : أن تقدمه أناله الشرف الأعلى ، فليس الذين يتوقّون الشّرف الذى أتاه هو ، نالوا مَانَالَه من الشّرف[3] . أى إنهم لما جبُنوا عن مباشرة الشدائِد[4] لم ينالوا ما ناله .

٣٢- إِذَا الْمُلُوكُ تَحَلَّتْ كَانَ حِلْيَتُهُ مُهَنَّدٌ وَأَصَمُّ الْكَعْبِ عَسَّالُ

اسم كان مضمر ، والجمْلة فى موضع النّصب على أنها خبر كان : أى كان هو ، أوكان الأمر والشأن حلْيته مهنّد ، ولو نصبت « حلْيته » على الخبر وجعلت « مُهَنَّدًا » اسمها[5] كان قبيحًا[6] ، لأن الخبر يكون معرفة والاسم نكرة ، ومثل هذا

(١) ق ، ع : « ونا » بدل « وما » .

(٢) وهذا على أن الرواية فى البيت : « يتوق » والرواية الأولى وهى المثبتة فى البيت : « بتوقى » .

(٣) ع : « من تقدمه من الشرف » .

(٤) ق : « لما حنبوا عنه بمباشرة الشدائد » تحريفات .

(٥) ق : « ولو نصب حليته على الجر وجعلت بهذا اسمها » تحريفات .

(٦) حليته : يروى بالنصب على أنه خبر كان ، واسمها النكرة بعدكما فى قول الشاعر : « يكون مزاجَهَا عسلٌ وماءٌ » . ويجوز رفعه على أنه مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر كان واسمها ضمير الشأن أو ضمير الممدوح .

قد جاء فى الشعر .

يقول إذا تزيَّن الملوكُ بالحُلَل وأنواع الحلىّ فهو يتزيّن بسيْفه ورمحه .

والعسّال : الرمح المضطرب .

٣٣-أَبُو شُجَاعٍ أَبُو الشُّجْعَانِ قَاطِبَةً هَوْلٌ نَمَتْهُ مِنَ الْهَيْجَاءِ أَهْوَالُ

« نَمَتْه » هاهنا أى ولدته ، وأصله من الانْتماء ، وهو الانْتساب .

يقول : من حقّه أن يكنى أبا الشجعان قاطبة ، لا أبا شجاع واحد[١] . وهو هَوْلٌ نمته أهوالٌ من الهَيْجاء : أى ممارسة الخطوب أعلت قدرَه وصارت نَسبًا له[٢] ينتمى إليه .

« أبو شجاع » : مبتدأ . و « أبو الشّجعان » : بدل منه . و « قاطبةً » : نصب على المصدر أو الحال . و « هَوْلٌ » خبر المبتدأ[٣] . و « أَهْوَالُ » رفع « بنمتْه » ويجوز أن يكون « أبو شجاع » مبتدأ و « أبو الشّجعان » خبره . و « هوْل » خبر ابتداء محذوف : أى هُو هَوْلٌ ، أو بدل من أبى الشّجعان .

٣٤-تَمَلَّكَ الْحَمْدَ حَتَّى مَا لِمُفْتَخِرٍ فِى الْحَمْدِ حَاءٌ وَلا مِيمٌ وَلادَالُ

يقول : قد استولى [على] الحمد كلّه واستحقه بفضله ، حتى لم يبق لأحدٍ شىء[٤] من الحمد وأجزائه .

٣٥-عَلَيْهِ مِنْهُ سَرَابِيلٌ مُضَاعَفَةٌ
وَقَدْ كَفَاهُ مِنَ الْمَاذِىِّ سِرْبَالُ

« منْه » أى من الحمد . والماذىّ : الدّرع اللّينة الصّافية .

(١) ق : « إلا أبا شجاع والأحد » تحريفات .

(٢) ق : « بسالة » .

(٣) ق : « مبتدأ » . ع : « للابتداء » .

(٤) ق : « لم يبق شىء » .

يقول : عليه من الحمد . سرابيل ظاهرة مضاعفة ، وفى ألحرب يكتفى بدرع واحد . يعنى لا يرضى من الحمد إلا بالسرابيل المضاعفة[1] ويكفيه فى الحرب سِرْبالٌ واحد .

وقيل : عليه لباس الحمد المضاعف ، وقد كفاه الدّرع وإن لم يكن الحمد ، فاجتمعا له جميعا ، حتى يكون ذلك أشرف له .

٣٦-وَكَيْفَ أَسْتُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ
وَقَدْ غَمَرْتَ نَوَالاً أَيُّهَا النَّالُ

[٣٣٥ - ب] رَجُلٌ نَالٌ : أى كثير النَّوال .

يقول : كيف أستر أفضالك ، وقد أكثرت علىَّ نوالك وغمرْتَنى به ، حتى لا يمكننى ستره .

٣٧-لَطَّفْتَ رَأْيَكَ فِى وَصْلِى[2] وَتَكْرُمَتِى
إِنَّ الْكَرِيمَ عَلَى الْعَلْيَاءِ يَحْتَالُ

[يقول :] لطّفت رأيك واحتلْت فى إحراز ثنائى ومدحى ، وهذه عادة الكرام بتوصلون إلى اكتساب المعالى بكل حيلة .

٣٨-حَتَّى غَدَوْتَ وَلِلأَخْيَارِ تِجْوَالٌ وَلِلْكَوَاكِبِ فِى كَفَّيْكَ آمَالُ

يقول : لمّا تلطفت فى إكرامى ومدحتُك فجال ذكرُكَ بين النّاس ، وطمعت النّجومُ فى نوالك .

وهذان البيتان مدح أبو الطيب بهما نفسَه ! يعنى : أنا كالنّجم مِنْ بُعْدى من عطاء مثلك ! فلما احتلتَ فى إيصال برّك إلىَّ رغبت النّجوم أيضا فى نوالك .

---

(١) ق : من « مضاعفة . . . المضاعفة » ساقط انتقال نظر .

(٢) ع : والواحدى والتبيان والعرف الطيب ٥٣٠ : « فى برى » بدل : « فى وصلى » .

٣٩-وَقَدْ أَطَالَ ثَنَائِى طُولُ لابِسِهِ
إِنَّ الثَّنَاء عَلَى التِّنْبَالِ تِنْبَالُ

« التِّنْبال » : القصير ، وعنى بطول لابسه طول السؤدد والكرم .

يقول : إذا مدح الانسان كريما كثير الفضائل طال حمده بطول كرمه ، وجاد شعره ، وإذا مدح لئيما قليل الكرم لؤم شعره وقلّ[1] ؛ لأن المادح لا يجد ما يَمْدح به .

٤٠-إِنْ كُنْتَ تَكْبُرُ أَنْ تَخْتَالَ فِى بَشَرٍ
فَإِنَّ قَدْرَكَ فِى الأَقْدَارِ يَخْتَالُ

يقول : إن كنت ترفع نفسك من أن تتكبر على النّاس ، فإنّ قدرك يختال على كلّ قدْرٍ ويتكبّر على كل ذى فخر .

٤١-كَأَنَّ نَفْسَكَ لا تَرْضَاكَ صَاحِبَهَا إِلا وَأَنْتَ عَلَى الْمِفْضَالِ مِفْضَالُ

٤٢-وَلاَ تَعُدُّكَ صَوَّانًا لِمُهْجَتِهَا إِلاَّ وَأَنْتَ لَهَا فِى الرَّوْعِ بَذَّالُ

يقول : كأن نفسك . تفوق كل متفضل من الناس[2] ولا ترضى أن تكون صاحبها حتى تفضل على كل ذى فضل ، ولا تعدّ أنك تصونها إلا بذلّتها فى الحرب ، فأنت تقتحم عَلَى كل غمرة ، وتحمل نفسك على كلّ مهلكة .

٤٣-لَوْلا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمُ الْجُودُ يُفْقِرُ وَالإِقْدَامُ قَتَّالُ

يعنى : أن السّيادة لا تتمّ إلا ببذل المال ومخاطرة النفس ، فالجود يؤدّى إلى

---

(١) ق : « ذم شعره وقيل » تحريف .

(٢) هذه العبارة : « تفوق كل متفضل من الناس » جاءت زائده فى آخر شرح البيت رقم ٤٠ . ومن رقم ٤٠ حتى رقم ٤٥ اضطراب فى نصوص الأبيات والشرح فوضع شرح البيت ٤٣ لنص البيت ٤٢ وذلك فى ق .

الفقْر ، والإقدام [يفضى] إلى العطب . ولولا مشقّة هاتين الخلتين لكان الناس كلّهم سادة .

٤٤- وَإِنَّمَا يَبْلُغُ الإِنْسَانُ طَاقَتَهُ مَاكُلُّ مَاشِيَةٍ بِالرَّحْلِ[1] شِمْلالُ

الشِّملال : النّاقة السّريعة الخفيفة . يعنى : كلّ أحد يسْعى على قدر همّته ومبلغ طاقته ، وليس النّاس سواء ، كما أنه ليس كل ناقة شملال .

٤٥- إِنَّا لَفِى زَمَنٍ تَرْكُ الْقَبِيحِ بِهِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانٌ وَإِجْمَالُ

فَصِرنَا فى زمانٍ لا خير عند أهله ، فمن كفّ أذاه عن الناس فهو يحْسُنُ عندهم .

ولطف فى قوله : « من أكثر الناس » حتى لا يدخل الممدوح .

٤٦- ذِكْرُ الْفَتَى عُمْرُهُ الثَّانِى ، وَحَاجَتُهُ مَاقَاتَهُ[2] وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ

يقول : ذكْر الإنسان بعد موته يقوم له مقام العمر الثانى ، فكأنّه موجود وغير معدوم [٣٣٦ - ا] ، وحاجته من الدنيا ما يقوته ، وما فضل عنه يكون شغْلاً له .

يمنعه عن جمع المال ويحثه على العلا . وروى : « ما فاته » أى هو محتاج أبدًا إلى ما لم ينله ، فأما ما ناله فلا حاجة به إليه .

قال ابن جنى : قد جمع فى هذا البيت ما يعجز كل من يدعى الشعر والحكمة والكلام الشريف ، فينبغى أن يلحق بالأمثال السائِرة . ومثْله لسالم بن وابصة[3] :

(١) ق : « بالرجل » .

(٢) ق : « فاته » .

(٣) سالم بن وابصة : أمير شاعر من أهل الحديث ومن التابعين . دمشقى سكن الكوفة ومات فى أواخر خلافة هشام حوالى سنة ١٢٥ . وهو من شعراء عبد الملك بن مروان . وأبوه وابصة صحابى جليل . راجع . الإصابة رقمى ٣٠٤٤ و ٩٠٨٦ والمؤتلف ١٩٧ وخزانة الأدب ١ /٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٥٥٧ .

غِنَى النَّفْسِ ما يكْفيكَ مِنْ سلْخ حَاجَةٍ
وَإن زَادَ شيْئًا كَانَ ذَاكَ الغِنَى فَقْرًا[1]

وهو قد استوفى جميع ذلك وزاد عليه بقوله : « ذكْر الفتى عُمره الثانى »[2] .

(٢٧٣)

وتُوفِّى أبو شجاعٍ فاتك بمصْر ليلة الأحَد عشاء[3] لإحدى عشْرةَ ليلة خلتْ من شوّال سنة خمسين وثلاث مئة[4] .

فقال أبو الطيّب يرثيه عندَ مَوْته [ويهجو كافورًا] وأنشدَها بعد رحيله عن الفسْطاط[5] :

١ – الحُزْنُ يُقْلِقُ والتَّجَمُّلُ يَرْدَعُ وَالدَّمْعُ بَيْنَهُمَا عَصِيٌّ طَيِّعُ

يقول : الحزن يحملنى على الجزع ، والتجمّل[6] يردعنى عن الجزع ، فدمعى متحيّر بين التجمّل والقلق ، يعصى التجمل ويطيع القلق .

٢ – يَتَنَازَعَانِ دُمُوعَ عَيْنٍ مُسَهَّدٍ هَذَا يَجِيءُ بِهَا وَهَذَا يَرْجِعُ

(١) الحماسة ٤١١ والواحدى ٧١١ والتبيان ٣ /٢٨٨ ومحاضرات الأدباء ١ /٥٢٥ وشرح البرقوقى ٣ /٥٠٦ ومعانى الشعر ٦٨ وفيها ذكرنا يروى :

غنى النفس ما يكفيك من سد خلة فإن زاد شيئًا عاد ذاك الغنى فقرا

(٢) ورواية ابن جنى فى التبيان هى : قال أبو الفتح : ينبغى أن يلحق بالأمثال لأنه قد أوجز فيه وجمع ، ومثله ما يحكى عن بعض ولد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أنه رؤى يستقى ماء فقيل له : بعد الخلافة ؟ فقال : إنما فقدنا الفضول . ا .هـ .

(٣) ع : « وقت العشاء الأخيرة » .

(٤) انظر حوادث سنة ٣٥٠ ابن الأثير ٦ /٣٦١ .

(٥) الواحدى ٧١١ : « وتوفى أبو شجاع فاتك بمصر ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة ٣٥٠ فقال يرثيه » . التبيان ٢ /٢٦٨ : « وقال يرثى أبا شجاع فاتكًا » . الديوان ٥٠٦ نص المذكور . العرف الطيب ٥٣١ .

(٦) التجمل : التصبر . وفى ق « التحمل » بالحاء المهملة .

يقول : إن الحزن والتجمّل يتنازعان : دموعَ عينٍ لا تنام . هذا يجيء بها ، أى الحزن يجيء بالدموع[١] . وهذا يرجع . أى التجمّل يردّها .

٣ – النَّوْمُ بَعْدَ أَبِى شُجَاعٍ نَافِرٌ وَاللَّيْلُ مُعْنٍ وَالْكَوَاكِبُ ظُلَّعُ

يقال : ظلع يظلع إذا عىّ من التعب فهو ظالِع ، والجمْعُ ظلّع .

يقول : قد زال عنى النّوم بعد موت أبى شجاع ، وطال علىّ الليل حتى كأنه مُعْنٍ لا نهوض له ، والكواكب أيضا لا تبرح مكانها حتى كأنها غامزة[٢] .

يصف طول ليله عليه ، ودوام سهره .

٤ – إِنِّى لأَجْبُنُ مِنْ فِرَاقِ أَحِبَّتِى وَتُحِسُّ نَفْسِى بِالْحِمَامِ فَأَشْجَعُ

يقول : ليس حزنى هذا من ضعف قلْبى ، ولكنه إلْفٌ وعادة ، فنفسى إذا أحسّت بالموت أقدمت عليه ، وإذا أحسّت[٣] بفراق صديقٍ جبنت عنه .

٥ – وَيَزِيدُنِى غَضَبُ الأَعَادِى قَسْوَةً وَيُلِمُّ بِى عَتْبُ الصَّدِيقِ فَأَجْزَعُ

يقول : إذا غضب العدوّ ، لَمْ أبالِ بغضبه ، بل ازددت قسوة عليه ، وإذا عتب[٤] علىّ صديق أدنى عتْب ، جزعْتُ منه .

٦ – تَصْفُو الْحَيَاةُ لَجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ عَمَّا مَضَى فِيهَا وَمَا يُتَوَقَّعُ

٧ – وَلِمَنْ يُغَالِطُ فِى الْحَقَائِقِ نَفْسَهُ وَيَسُومُهَا طَلَبَ الْمُحَالِ فَتَطْمَعُ

يقول : لا تصفو الحياة إلا لثلاث : إما جاهل بأحوال الدّنيا ، أو غافل عما

---

(١) ق : « يجى بالدموع » ساقطة .

(٢) ظلَع : عرج فى مشيته وغمز . وفى المثل : « لا يدرك الظالع شأو الضليع » اللسان .
يقول : النوم بعده نافر لا يألف العين ، والليل يطول كأنه قد أعيا فلا يستطيع الانصراف والكواكب كأنها ظالعة لا تقدر أن تقطع الفلك فتغرب .

(٣) ق : من « أحست . . . . أحست » ساقط انتقال نظر .

(٤) ع : « عتبت » .

مضى ، وما ينتظره من الحياة ، أو من يغالط نفسه فى الحقائق ، ويعللها بالأمانى [٣٣٦ - ب] الكاذبة ويطمعها فى الأمور المحالة .

٨ - أَيْنَ الَّذِى الْهَرَمَانِ مِنْ بُنْيَانِهِ؟ مَا قَوْمُهُ مَا يَوْمُهُ مَا الْمَصْرَعُ ! !

الهرمان : بناءان[١] شاهقان فى الهواء ، وسَمْك كلّ واحد منهما أربع مئة ذراع فى عرض مثلها ، لا يعرف من بناهما ! ويقال : بناهما عمرو المشلّل[٢] .

« ما قومه ؟ » لفْظهُ استفهام ، ومعناه التّعظيم يعنى : أن هذا البانى مع قومه وعزّه سلطانه ، قد انقطع خبره ، فلا يعلم من هو ولا مِنْ أى أمَّةٍ هُوَ ! !

٩ - تَتَخَلَّفُ الْآثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا حِينًا ، وَيُدْرِكُهَا الفَنَاءُ[٣] فَتَتْبَعُ

الهاء فى « أصحابها » للآثار . يعنى : أن الآثار تبقى بعد أربابها زمانا ، ثم إن الفناء يبطل الآثار أيضًا ، فتتْبع فى الفناء [أصحابها] .

١٠ - لَمْ يُرْضِ قَلْبَ أَبِى شُجَاعٍ مَبْلَغٌ
قَبْلَ الْمَمَاتِ وَلَمْ يَسَعْهُ مَوْضِعُ

يقول : كان بعيد الهمّة ، لم يرض من الدنيا منالا ناله ، بل كان يطلب أكثر مما ناله ، ولم يسعه موضع حتى مات ، فكأنّه كرهَهَا فارتحل عنها .

١١ - كُنَّا نَظُنُّ دِيَارَهُ مَمْلُوءةً ذَهَبًا فَمَاتَ وَكُلُّ دَارٍ بَلْقَعُ

(١) ع : « منارتان » .

(٢) فى النسخ « عمرو المشلل وعند الواحدى « عمرو بن المشلل وفى معجم البلدان : هرمث الأول المدعو بالمثلث الحكمة . ولم يعلم الغرض من بناء الأهرام حتى القرن الثامن الهجرى حيث يقول صفى الدين البغدادى المتوفى سنة ٧٣٩ هـ صاحب مراصد الاطلاع يقول بعد أن ذكر جملة من أخبارها : « ولا يدرى ما الغرض فى بنائها ، فلذلك كثرت الأقاويل فيها واختلفت » مراصد .

وأراد بالهرمين : الهرم الأكبر والهرم الأوسط وهما بناءان مشهوران ومن عجائب الدنيا وبمصر أهرامات كثيرة كما تقول المراجع القديمة أشهر هذه الأهرام ما أشار إليه وهى بناء مصرى قديم ضخم خصص لدفن فرعون . والغالب أن العرب هم الذين سموا الهرم إشارة إلى قدمه . انظر الموسوعة العربية الميسرة .

(٣) ع : « ويلحقها الفناء » .

البَلْقعُ : الخالية ، والجمع : بلا قع .

يقول : كنّا نظن أن خزائنه مملوءة من الذّهب ؛ لكثرة ماكان يهبه من الأموال ، فلما مات وجدنا دياره خالية من المال ؛ لأنه وهب ماله[1] فى حال حياته ، ولم يجمع إلا أربعة أشياء ذكرها فيما يليه :

١٢–وَإِذَا الْمَكَارِمُ وَالصَّوَارِمُ وَالْقَنَا وَبَنَاتُ أَعْوَجَ كُلُّ شَيْءٍ يَجْمَعُ

« بنات أعوج » : هى الخيْل ، تنسب إلى فحل كريم فى العرب يقال له : أعوج .

يقول : كلّ شىء جمعه فى خزانته فهو هذه الأشياء ، دون الذهب وسائر الأموال . ومثله لآخر :

وَلَمْ يَكُ كَنْزُهُ ذَهَبًا وَلَكِنْ سُيوفَ الْهِنْدِ وَالْحَلَقَ الْمُذَالا[2]

١٣–المجْدَ أَخْسَرُ وَالمكَارِمُ صَفْقَةً
مِنْ أَنْ يَعيشَ لَهَا الْكَرِيمُ الأَرْوَعُ

« الأَرْوعُ » : الجميل الذى يروعك جماله .

يقول : إن المجد والمكارم قد خسرت صفْقَتَها فلا يعيش لها كريم يعتنى[3] بأمرهما .

وتقدير البيت فى الظّاهر : المجد والمكارم أخْسر صفقة . وإعرابه على غير هذا الوجه ؛ لأنك إذا علقت « صفقة » « بأخْسَر »[4] كنت قد فصلت بين الصّلة والموصول[5] بقولك : « والمكارم » ولكن تحمله على إضمار فعل ينصب به

(١) ق : « ذهب ماله » .

(٢) جاء البيت فى شعر مروان ابن أبى حفصة ٨٠ وهو كذلك فى الواحدى ٧١٣ والتبيان ٢ /٢٧١ . والرواية فيها : « حديد الهند » وطبقات ابن المعتز ٥٣٠ : « الحلق الفضالا » وشرح البرقوق ٣ /١٧ .

(٣) ع : « فلا يعيش لئيمًا كريمًا يعنون » تحريفات .

(٤) ق : « إن عقلت صفقة باخر » تحريفات .

(٥) لأن « صفقة » تحل من « أخسر » محل الصلة من الموصول . ألا ترى أنه لا يجوز أن تقول : زيد أحسن وعمرو وجها ولكن لك أن تصرفه إلى وجه آخر . انظر تفصيلا دقيقًا فى التبيان ٢ /٢٧١ .

« صفقة » كأنك قلت : المجد أخسر والمكارم كذلك ، وتم الكلام . ثم استأنفت « صفقة » وأضمرت فيه فعلا أى : خسر المجد صفقة .

١٤- وَالنَّاسُ أَنْزَلُ فِى زَمَانِكَ مَنْزِلاً
مِن أَنْ تُعَايِشَهُمْ وَقَدْرُكَ أَرْفَعُ

يقول لفاتِك : إن الناس أنزل درجةً من أن يستحقّوا أن تَعيش معهم ، وأنت أرفع [٣٣٧ - ا] قدْرًا من أن تصاحبهم ، فلما أنِفْت من ذلك اخترْت الموت .

١٥- بَرِّدْ حَشَايَ إِنِ اسْتَطَعْتَ[1] بِلَفْظَةٍ
فَلَقَدْ تَضُرُّ إِذَا تَشَاءُ وَتَنْفَعُ

يقول : إنّ قلبى فيه حرارة الحزن ، فبرِّدْه بلفظة منك أنتفع بها ؛ لأنك قد كنتَ قادرًا على ضرّ من شئت ونفْع من أرَدْت ، فذلك[2] لم يتعذر عليك .

١٦- مَاكَانَ مِنْكَ إِلَى خَلِيلٍ قَبْلَهَا مَايُسْتَرَابُ بِهِ وَلاَ مَا يُوجِعُ

« قبْلها » : أى قبل هذه الحالة ، أو هذه المصيبة ، و « ما يستراب » : أى ما يكره[3] .

يقول : لم يكن منك قبل هذه الحالة ما يريب صديقك ويوجعه .

١٧- وَلَقَدْ أَرَاكَ وَمَاتِلُمُّ مُلِمَّةٌ إِلا نفَاهَا عَنْكَ قَلْبٌ أَصْمَعُ

« قلب أصمع » : أى ذكى .

يقول : إذا نالتك مصيبة ، تدفعها عنك بقوة قلبك ، وحِدَّة ذكائك .

١٨- وَيَد كَأَنّ نوالَهَا وقتالها[4] فَرْضٌ يحِقُّ عَلَيْكَ وَهُوَ تَبَرُّعُ

---

(١) ق : « إذا استطعت » .
(٢) ق : « ذلك » .
(٣) ق : « ما يكرهه » .
(٤) ع ق : « كأن قتالها ونوالها » .

« وَيَدٌ » عطف على « قلب » .

يقول : كنت أعرفك ، إذا نزلتْ بك حادثة دفعتها عنك بذكاء قلبك وشدّة ساعدك ، فما بالك لم تدفعها الآن عنك ؟ ! وقوله : « كأنَّ نَوالَهَا وقِتَالَها » أى أنّك لم تبْخل بقتالٍ ولا بذْل نوال ، حتى كأنهما واجبان عليك ، وهو تبرّع وتفضّل .

١٩- يَامَنْ يُبَدّلُ كُلَّ يَوْمٍ حُلَّةً[١] أَنَّى رَضِيتَ بِحُلَّةٍ لا تُنْزَعُ ؟

أى : يامن كان يبدّل ، فحذف « كان » وكذلك فيما قبله ، كقوله تعالى : (واتَّبَعُوا مَاتَتْلُوا الشَّيَاطِينُ)[٢] أى ما كانت تتلوا .

يقول : كنت تنزع كلّ يوم حُلَّة[٣] للسّؤال ، وتلبس حُلّة جديدة ، فكيف رضيت الآن بحُلّةٍ لا تنزعها أبدًا ، ولا تبدلها بغيرها ؟ يعنى الكفن .

٢٠- مَازِلْتَ تَخْلَعُهَا عَلَى مَنْ شَاءَهَا حَتَّى لَبِسْتَ الْيَوْمَ مَالاَ تَخْلَعُ

يقول : لم تزل تخْلع حُلَّتك على من طلبها حتى لبست الآن حُلَّةً لا يشتهيها أحد ، ولا يسألك أن تخلعها عليه . والهاء فى « تخلعها » و « شاءها » للحُلّة .

٢١- مَازَلْتَ تَدْفَعُ كُلَّ أَمْرٍ فَادِحٍ حَتَّى أَتَى الأَمْرُ الَّذِى لاَيُدْفَعُ

يقول : كنت[٤] تدفع كل حادثةٍ عظيمةٍ تنزل بك ، حتى نزل بك الآن مالا يمكن أحد دفعه[٥] يعنى : الموت .

٢٢- فَظَلِلْتَ تَنْظُرُ لاَرِمَاحُكَ شُرَّعٌ
فِيمَا عَرَاكَ وَلاَ سُيُوفُكَ قُطَّعُ

---

(١) الواحدى والديوان : « كل وقت حلة » يريد أنه كلما لبس حلة خلعها على من يقصده ولبس غيرها .

(٢) سورة البقرة ٢ /١٠٢ .

(٣) الحلة : اللباس . قالوا ولا تسمى حلة حتى تكون من ثوبين .

(٤) ق : « لأنك كنت » .

(٥) ق . ع : « ما لا يمكن أحدا دفعه » .

« عراك » : أى أتاك .

يقول : لما نزل بك حادث الموت ، لم تغن عنك رماحك وسيوفك ، لكنك ظَلِلْت تنظر إلى أصحابك ، ولا يقدر أحد على دفعه عنك .

٢٣- بِأَبِى الْوَحِيدُ وَجَيْشُهُ مُتَكَاثِرٌ يَبْكِى وَمِنْ شَرِّ السِّلاحِ الأَدْمُعُ

يقول : أبى فداء المتوحد[١] الّذى جيشه كثير .

يعنى : أن جيشه لا يقدر[٢] على دفع الموت [٣٣٧ - ب] عنه .

جعله وحيدًا لا ناصر له ، وكأنّ جيشه يبكى عليه ، لأنهم لا يملكون له شيئا سوى البكاء ثم قال : والدّموع شر السّلاح ؛ لأنه لا يدفع بها حادثة .

٢٤- وَإِذَا حَصَلْتَ مِنَ السِّلاحِ عَلَى الْبُكَا
فَحَشَاكَ رُعْتَ بِهِ ، وَخَدَّكَ تَقْرَعُ

يقول : إذا كان رأس سلاحك هو البكاء لم يصل ضرره إلا إليك ، لأنك تؤلم به قلبك وتقرع به خدّك .

٢٥- وَصَلَتْ إِلَيْكَ يَدٌ سَوَاءٌ عِنْدَهَا الـ
ـبَازِى[٣] لاَشْهَبُ وَالْغُرَابُ الأَبْقَعُ

أراد يد الدهر ، والمراد بالبازى لاشهب : الكريم[٤] . وبالغراب الأبقع :

---

(١) ع : « الوحيد » .

(٢) ع : « لمّا يقدر » .

(٣) فى الواحدى والديوان والتبيان يروى : « ألباز ألآشهب » بقطع همزة « ال » من الباز ووصل همزة الأشهب . بناء على أن همزة « ال » قد وقعت فى أول الشطر الثانى . فكأنه أخذ فى بيت ثان كما قال الآخر :

حتّى أتين فتًى تخبّطَ خائفا السّيْفَ فهو أخو لقاء أروع

انظر الواحدى ٧١٤ والتبيان ٢ /٢٧٤ والعرف الطيب ٥٣٤ .

(٤) الأشهب : ما غلب عليه البياض . والأبقع : فى الطير والكلاب كالأبلق فى الدواب .

اللئيم . يعنى : أن الموت إذا جاء لم يفرّق بين الشريف والوضيع .

٢٦-مَنْ لِلْمحَافِلِ وَالْجَحَافِلِ والسُّرَى ؟ فَقَدَتْ بِفَقْدِكَ نَيِّرًا لا يَطْلُعُ

« المحافل » : المجالس ، وقيل : هى جماعات النّاس . و « الجحافل » : الخيل . و « السُّرَى »[1] : جمع سراية . كأن قوام هذه الأشياء ، نيّرها الذى غاب عنها فلا يطلع أبدا .

٢٧-وَمَنِ اتَّخَذْتَ عَلَى الضُّيُوفِ خَلِيفَةً ؟
ضَاعُوا وَمِثْلُكَ لا يَكَادُ يُضَيِّعُ

« مَنْ » استفهام . يعنى : كنت تتعاهد أَمْر أضيافك ، فمن الّذى تركت[2] بعدك خليفة يقوم بأمورهم ؟ فإنهم ضاعوا ، ولم يكن من عادتك أن تضيّع أحَدًا .

٢٨-قُبْحًا لِوَجْهِكَ يَا زَمَانُ ! فَإِنَّهُ وَجْهٌ لَهُ مِنْ كُلِّ قُبْحٍ بُرْقُعُ

يقول : قبح الله وجهك يازمان ! فإنه وجه مبرقَعٌ بكل لؤم : أى كل فعل مذموم مجتمع فيك !

٢٩-أَيَمُوتُ مِثْلُ أَبِى شُجَاعٍ فَاتِكٍ
وَيَعِيشُ حَاسِدُهُ الْخَصِيُّ الأَوْكَعُ ؟!

« الأوكع » الذى تميل إبهام رجلِه[3] على أصابعه حتى تخرج عن أصله[4] ،

---

(١) السرى : سير الليل يعنى الزحف للغارة . وفى النسخ . السرى : جمع سرية وسرية تجمع على سرايا .

(٢) ع : « تتعهد . . . فمن تركت » .

(٣) ق : « رجليه » .

(٤) المراد الذى أقبلت إبهام رجله على السبابة حتى يرى أصلها خارجًا كالعقدة ويقال : عبد أوكع أى لئيم . العرف الطيب ٥٣٥ .

ويجوز أن يكون « فاتكٌ » رفع بدلا من « مثل » وجُرّ بَدَلا من[١] من « أبى شجاع » .

أنكر على الزمان موت فاتك وحياة كافور بعده ، وقال : تترك كافورًا مع لؤمه ، وتهلك فاتكا مع شرفه وكرمه ؟ ! وإنما تفعل ذلك للؤمك ، فأنت تحامى من كان مثلك . وقوله : « أيموتُ مثل أبى شُجَاعٍ » : أى يموت أبو شجاع ، و « مثل » زائدة .

٣٠-أَيْدٍ مُقَطَّعَةٌ حَوَالَىْ رَأْسِهِ
وَقَفًا يَصِيحُ بِهَا : أَلاَ مَنْ يَصْفَعُ ؟

يقول : إن كافورًا لِلُؤمه وخسَّته يبعث الناسَ على صفْعه[٢] ، فكأن قفاه يصيح : هل من أحد يصْفعنى ؟ ولكن كأنّ أيدى مَنْ حولَه مقطوعة[٣] لا يقدرون على صفعه وتناوُله . وهذا على معنى الخبر ، أن أيديهم كذلك . ويجوز أن يكون دعاء على أصحابها فكأنه يقول : قطع الله هذه الأيدى .

٣١-أَبْقَيْتَ أَكْذَبَ كَاذِبٍ أَبْقَيْتَهُ وَأَخَذْتَ أَصْدَقَ مَنْ يَقُولُ وَيَسْمَعُ

« ويسمع » : أى يجيب .

يقول للزّمان أو للموت : أبقيت كافورًا الذى هو أكذب النّاس قولا ، وأخذت فاتكًا الذى هو أصدقهم قولا ووعْدا [٣٣٨ - ا] ..

٣٢-وَتَرَكْتَ أَنْتَنَ رِيحَةٍ مَذْمُومَةٍ وَسَلَبْتَ أَطْيَبَ رِيحَةٍ تَتَضَوَّعُ

رِيح ورِيحة ورائِحة بمعنى . وتضوعت رائحة الطّيب : إذا انتشرت . وهذا البيت كالذى قبله .

(١) ع : « وجربوا بدلا » . ق : « وجربلا » تحريفات .

(٢) كأنه يلمح بهذا إلى قصته مع غلمان الإخشيد حين كانوا يصفعونه فى الأسواق على ما ذكر فى ترجمته لكافور .

(٣) ق : « مقطوفة » .

يعنى : « بأنتن ريحةٍ » كافورًا و « بأطيب ريحة » فاتكا .

٣٣- فَالْيَوْمَ قَرَّ لِكُلِّ وَحْشٍ نَافِرٍ دَمُهُ وَكَانَ كَأَنَّهُ يَتَطَلَّعُ

يقول : إنه كان يديم قنْص الوحش ، فلمّا مات استقرّ دم كلّ وحش فى جلده بعد أن كان الدم يتطلع : أى يهم بالخروج من غير أن يجْرِيَه خوفا منه .

وقيل : يتطلع الوحش : أى كان يهم بالخروج ولم يخرج خوفًا منه .

٣٤- وَتَصَالَحَتْ ثَمَرُ السِّيَاطِ وَخَيْلُهُ وَأَوَتْ إِلَيْهَا سُوقُهَا وَالأَذْرُعُ

« ثمر السياط » : أطرافها .

يقول : إنه كان يديم ضرْب خيْله بالسّياط فى الحُروب والغارات والصيد وطرد الوحْش ، فلمّا مات تصالحت السِّياط مع خيْله ، حتى سكنت إليها[1] سوق الخيل وأذرعها ، وأمنت أذاها وألَمَها ، إذ لا يضربها أحد بالسياط بعده .

٣٥- وَعَفَا الطِّرَادُ فَلاَ سِنَانٌ رَاعِفٌ فَوْقَ الْقَنَاةِ وَلا سِنَانٌ يَلْمَعُ[2]

الطّراد : مُطَاردة الفُرْسان[3] . وقيل : هو الرَّمح الصغير . « وعفا » : أى درس .

يقول : عفا بموته رسم الطّعان والضّراب ، فلا يرى بعده سِنان راعف : أى قدْ طُعن به فهو يقْطر دما ، وكذلك لا يرى سيف يلمع ويبرق .

٣٦- وَلَّى وَكُلُّ مُخَالِمٍ وَمُنَادِمٍ بَعْدَ اللُّزُومِ مُشَيِّعٌ وَمُوَدِّعُ

المخالم : المصادق .

يقول : لما مات تفرّقت ندماؤه وأصدقاؤه ، فودّع بعضُهم بعضا وشيّعه[4] ،

---

(١) يقول الواحدى والتبيان والعرف الطيب المعنى أنه : لما مات « فاتك » عادت إلى الخيل أذرعها وسوقها ، وكانت غائبة عنها ، لأنه كان يركضها دائما . (٢) ع : « ولا سيوف تلمع » .

(٣) وهو التجاول فى الحرب . (٤) ع : « وودع بعضهم وشيعه » .

بعد أن كانوا مُلازمين لا يتفرّقون . وقيل : أراد ودّع فاتكًا كُلُّ منادم وصديق .

٣٧- قَدْ كَانَ فِيهِ لِكُلِّ قَوْمٍ مَلْجَأٌ وَلِسَيْفِهِ فِي كُلِّ قَوْمٍ مَرْتَعُ

يقول : قد كان فاتك ملجأ ينتمى إليه كل قوْم عندما يقع لهم من الحوادث ، وكذلك سيفه كان يقتل كل قوْم ، فكأنه يرتع فى لحوم القتلى .

٣٨- إِنْ حَلَّ فِى (فُرْسٍ) فَفِيهَا رَبُّهَا (كِسْرَى) تَذِلُّ لَهُ الرِّقَابُ وَتَخْضَعُ

« الفُرْس » : أهل فارس . والهاء فى « فيها » ترجع إلى الفرْس ، وأراد به أرض فارس ، أو القبيلة أو الجماعة .

٣٩- أَوْ حَلَّ فِى (رُومٍ) فَفِيهَا (قَيْصَرٌ) أَوْ حَلَّ فِى (عُرْبٍ) فَفِيهَا (تُبَّعُ)

يقول : إنّ فاتكا كان فى الفرْس كسرى ، وفى الروم قيصرا ، وفى العرب تبعا . والتبابعةُ : ملوك اليمن .

٤٠- قَدْ كَانَ أَسْرَعَ فَارِسٍ فِى طَعْنَةٍ فَرَسًا ، وَلَكِنَّ الْمَنِيَّةَ أَسْرَعُ

« فرسا » : نصب على التمييز . والتقدير : كان أسرع فارس فرسا[1] فى طعنه .

يقول : كان أحذق بالطعن [٣٣٨ - ب] من كل فارس ، وفرسه أسرع من كل فرس[2] ، ولكن لم ينفعه ذلك حين جاء الموت .

---

(١) ع : « فرسا » ساقطة .

(٢) ق : « فارس » تحريف .

٤١-لاقَلَّبَتْ أَيْدِى الْفَوَارِسِ بَعْدَهُ رُمْحًا وَلاحَمَلَتْ جَوادًا أَرْبَع [١]

يعنى : أنه كان حاذقًا بركوب الخيل والطّعن بالرماح ، فإذا قامت فلا حملت فرسا قوائمه الأربع ، ولا حمل فارس رمحا بيده[٢] .

(١) فى النسخ : « لا قبلت . . . حكمت جوادًا أربع » .

(٢) يعنى : أن الطعان وركوب الخيل لا يليقان إلا به فيقول على سبيل الدعاء : لا حمل الفرسان بعده رمحا ، ولا حملت الخيل قوائمها .

obeikandl.com